المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences
Impact factor isi 1.651

العدد الرابع والعشرون نيسان 2024

أثر ابن إسحاق في التفسير

إعداد

مروان عطية جبر عبد الجبوري

البريد الإلكتروني Marwanjebur48@gmail.com

جامعة الجنان

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم التفسير وعلوم القرآن

المشرف

أ .د خالد مصطفى مرعب

البريد الإلكتروني Khaled.merheb@jinan.edu.lb

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسانٍ إلى يوم الدين، وبعد:

القرآن الكريم هو كتاب الله الخالد وحجّته البالغة على الناس أجمعين، ختم الله به الكتب السماوية وأنزله هدايةً ورحمةً للعالمين، وضمّنه منهاجًا كاملًا وشريعةً تامّةً لحياة المسلمين، والقرآن معجزةٌ باقيةٌ ما بقيَ على الأرض حياةٌ وأحياء، أيّد الله به رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وتحدّى الإنسَ والجنَّ أن يأتوا بمثله أو بعشر سور مثله أو بسورةٍ واحدة، ولا شكّ أن قراءة القرآن الكريم وتعلّمه وحفظه لها أجر عظيم فكيف إذا اقترنت هذه القراءة بالفهم والاستنباط والتفسير والدراسة.

ومن هنا ومن هذا المنطلق اجتهد علماء الإسلام قديمًا وحديثًا في خدمة هذا الكتاب، ومن أهم مظاهر اهتمامهم كثرة مؤلّفاتهم حوله، فألّفوا في تفسيره، وقراءاته، ومعانيه، وغريبه وإعرابها وغيرها.

وإنّ الاشتغال بالعلوم الشرعية من أجلّ القربات، وإنّ على رأس هذه العلوم ما يتعلّق بكتاب الله عزّ وجل وتفسيره، وفي هذا البحث تناولت أثر أحد علماء هذه الأمة الإسلامية في التفسير، وهو العالم محمد بن إسحاق رحمه الله، والذي كان واسع الثقافة، لامعًا في

التفسير والحديث النبوي الشريف والسّير والتاريخ، وقد دفعني إلى الحديث عن أثره في التفسير أمورٌ عدّة، هي:

ما وقفتُ عليه من لفتات تفسيرية في ثنايا تفسيره، فقد احتوى مادّة تفسيرية لا يُستهان بها، إضافةً إلى أنّ ابن إسحاق رجلٌ متقدّم الوفاة، فقد كان قرينًا لمالك بن أنس رحمه الله تعالى، والحاجة ماسّة إلى بيان جهوده في خدمة كتاب الله عزّ وجل.

إضافة إلى ذلك كلّه فقد نصّ بعض الباحثين على وجود تفسيرات لابن إسحاق وأشادوا بها، ومن ذلك قول الشيخ محمد علي السايس ورفاقه في كتاب تاريخ الفقه: "وقد اشتهر من بين التفاسير التي عرفت وقت ذاك تفسير ابن جريج، وتفسير السدي، ومحمد بن إسحاق، وسواها".[1] ولهذا توجّهت النية نحو دراسة أثر ابن إسحاق في تفسيره، والله الموفّق.

أسباب اختيار الموضوع

1. الرغبة في نشر تراث علماء الأمة الإسلامية، وخاصّة فيما يتعلق بتفسير القرآن الكريم.
2. القيمة العلمية لتفسير محمد بن إسحاق حيث جمع بين عدّة فنون في التفسير،

[1] السايس، محمد علي، تاريخ الفقه الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1432هـ، ص: 87.

واحتوى على علوم كثيرة في التفسير وعلومه، والحديث، والفقه، واللغة، وغيرها، مع اعتماده على كثير من المصادر الأصلية في ذلك.

أهداف البحث

1. التعريف بالمؤلف وما يتعلق به من جوانب حياته بقدر ما يتيسر من معلومات.
2. تيسير استفادة المتخصصين في القرآن وعلومه خاصة، وطلاب العلم عامة من تفسير ابن إسحاق.
3. دراسة الكتاب والتعريف به، وبيان منهجه، ومصادره، وقيمته العلمية، ومزاياه من بين كتب التفسير، وذلك لإضافته للمكتبة الإسلامية لنيل الإفادة منه.

إشكالية البحث

ما أثر محمد بن إسحاق في التفسير؟

فرضيات البحث

- اعتمد ابن إسحاق في تفسيره على عدة أنواع من التفسير، كتفسير القرآن بالقرآن والمأثور والعقل والنقل، وغيرها.
- إن ابن إسحاق رحمه الله يعتمد كثيراً على المصادر الأصلية في تفسيره.
- ترك تفسير ابن إسحاق أثرًا كبيرًا في علم التفسير بشكل عام.

ISSN: 2709-5312

المبحث الأول

ترجمة محمد بن إسحاق

المطلب الأول: حياته

قبل دراسة أثر ابن اسحاق في التفسير، لابد لنا من إعطاء نبذة عن حياته، فابن إسحاق هو محمد بن إسحاق بن يسار بن جبار بن خيار، وقيل بن كونان، أو كوتان، أو كوثان، أو كومان، يكنى بأبي عبد الله، وأبي بكر، وقد اشتهر بابن إسحاق، وأصله إلى أسرة عربية، وليس هناك معلومات عن أصول ابن إسحاق الأولى، غير أنّ جدّه يسار كان من سبي كنيسة عين التمر، حيث سباه خالد بن وليد سنة (12هـ)، من الفتيان الذين كانوا رهنًا في يد كسرى، وكان يسار يدين بالنصرانية قبل أسره، واستدل على ذلك من كونه هو وأفراد أسرته ورفاقه الذين أسروا معه يتعلمون الانجيل في دير بعين التمر، وكان يسار هو اول من دخل المدينة من العراق، وبعد دخوله واستقراره بها هو ومن أسر معه، دخلوا الإسلام، وأصبحوا فيما بعد أحرارًا، وفي المدينة أصبح يسار مولى لقيس بن محزمه بن عبد المطلب بن عبد مناف القرشي[1].

[1] ينظر في ترجمته المختصرة محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، (ت:1250)، نيل الأوطار، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1413هـ، : 39/1

ISSN: 2709-5312

ولد محمد بن إسحاق في المدينة عام (85هـ)، ونشأ وشبّ فيها، فتسمى القرشي المطلبي بالولاء، المدني بالمقام، كان شغوفًا بجمع الأحاديث، وكان يروى عن أبيه الكثير من الأحاديث، مما يوضح أنّه شغف برواية الحديث منذ حداثته، وأدرك بعض الصحابة في المدينة، وكرّس جهده لجمع الأخبار والقصص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورغبته بالتعلم دفعته للسفر إلى مصر طالبًا لها، حيث استقر في الإسكندرية سنة (119هـ) [1].

المطلب الثاني: توجهاته العقدية

اشتهر عن ابن اسحاق بعد عودته من مصر بالقول بالقدر وجلد على ذلك بالمدينة، وقد قال الشاذكاني فيه: "كان محمد ابن إسحاق بن يسار يتشيع وكان قدريًا"، وقال أحمد بن يونس: " أصحاب المغازي يتشيعون كابن إسحاق وأبي معشر"، وقال يزيد بن زريع: "كان ابن إسحاق قدريًا"، وقال ابن سيد الناس: "قد أمسك عن الاحتجاج بروايات ابن اسحاق غير واحد من العلماء لأسباب منها انه كان يتشيع وينسب الى القدر والتدليس، وأما الصدق فليس مدفوع عنه"، وذكر ابن قتيبة: "ابن إسحاق من القدرية"، وقال الجورجاني: "ابن إسحاق يشبهون حديثه وهو يُرمى بغير نوع من البدع".

[1] معجم البلدان، المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م، 318/3.

أما اتهامه بالتشييع فقد كانت تلك التهمة تقال لأكثر الذين يعملون في مجال سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، حتى أن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان قال: "ود لم لم ينشغل أحد بالسيّرة لما فيها من تقديم لبني هاشم وللأنصار".[1]

المطلب الثالث: موقف علماء المدينة منه

اختلفت آراء المحدثين والمؤرخين في ابن إسحاق، فالإمام مالك بن أنس وهشام بن عروة بن الزبير، يحملان عليه بعنف، ويتهمانه بالكذب والدجل ولاشك أن لهذين الشخصيتين تأثيرهما في الكثير وبالمقابل نجد أن الامام محمد بن مسلم بن شهاب الزهري وسفيان الثوري يحسنان الظن به، ولهذين الشخصيتين أنصارهما الذين يأخذون برأيهما ويعتمدون على اقتناعهم فالخصومة إذًا خصومة عقدية مبرّأة من الغرض الشخصي[2].

فتعارض الآراء في ابن إسحاق، واختلاف الحكم له أو عليه من قبل أولئك الذين لمزو ابن اسحاق وفي مقدمتهم: مالك ابن أنس، وأولئك الذين أثنوا عليه وفي مقدمتهم: الزهري يستلفت النظر، فكل من مالك والزهري: إمام عُرف بترفعه عن هوى النفس وعثرات

([1]) ينظر: معجم المفسرين: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1409 هـ - 1988 م،123/1.

([2]) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (538هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة - 1407 هـ،537/2.

اللسان، وكل واحد منهما: أنبل من أن يصدر عنه ثناء أو ذم من غير قصد ومن دون اقتناع لذا يجب ألا نتسرع في الأخذ بما يقال عن ابن إسحاق حتى تتبين لنا الحقائق، ومن الحقائق: أن بين ابن اسحاق ومالك بن أنس خصومة وفي الحق أَنّ حملة الحاملين على ابن إسحاق لم تكن مبرّأة من الغاية ولم تكن في الحق في شيء، وحقيقة الخلاف أنّ مالكًا كان يرى في نفسه أعلم الناس بأنساب العرب وأيامهم وأن ابن إسحاق ليس أوسع منه علمًا في ذلك.[1]

المطلب الرابع: آراء علماء الإسلام في تراث ابن إسحاق

اختلف العلماء في الحكم على تراث ابن إسحاق، فقد اجمع العلماء على الثناء عليه بقولهم ان ابن إسحاق هو عالم بالسيرة والمغازي وأخبار المبتدأ وقصص الأنبياء وعلم الحديث والقرآن والفقه، وهو أحد الأئمة ممن قدّم للمسلمين تراثًا مهمًا في التاريخ الإسلامي، ومن بين الذين مدحوا ابن إسحاق الإمام الزهري آخرون لهم مكانتهم العلمية فقد قال الزهري: "لا يزال في الناس علم ما بقي مولى آل مخرمة"، وسئل الزهري عن المغازي فقال "هذا أعلم الناس يعني: ابن إسحاق"، وقال الزهري أيضا "من أراد المغازي فعليه بابن

(1) انظر: جمال القراء وكمال الإقراء: علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي أبو الحسن علم الدين السخاوي (ت ٦٤٣هـ)، تحقيق: د. مروان العطيَّة – د. محسن خرابة، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٧ م، 2/ 447.

ISSN: 2709-5312

إسحاق"، ذكر أبو يحيى الساجي بإسناد له عن الزهري انه قال خرج إلى قريته باذام فخرج اليه طلاب الحديث فقال لهم أين أنتم من الغلام الأحول أو قد خلفت فيكم الغلام الأحول يعني ابن إسحاق.

وذكر الساجي أيضًا أنه قال: "كان أصحاب الزهري يلجؤون إلى محمد بن إسحاق فيما شكوا فيه من حديث الزهري، ثقة منهم بحفظه، هذا معنى كلام الساجي نقلته من حفظي لا من كتاب".

وذكر سفيان بن عينية انه قال: ما أدركت أحدًا يتهم ابن إسحاق في حديثه، والذي تقرر عليه العمل: ان ابن إسحاق إليه المرجع في المغازي والأيام والسيرة النبوية مع أنه يشذ بأشياء، وانه ليس بحجة في الحلال والحرام ولا بالواهي بل يستشهد به، قال شعبة "هو أمير المؤمنين في الحديث"، وذكر علي بن عمر الدار قطني في السنن حديث القلتين من جميع طرقه وما فيه من الاضطراب ثم قال المؤلف وإنما لم يخرج البخاري منه وقد وثقه، وكذلك وثقه مسلم بن الحجاج ولم يخرج عنه أيضا الا حديثا واحدا في الرجم، وذكر يحيى بن معين وابن حنبل ويحيى بن سعيد القطان اتو ابن إسحاق واحتجّوا بحديثه. [1]

([1]) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (311هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى 1408 هـ - 1988 م،297/5.

المبحث الثاني

أثر ابن إسحاق في تفسيره

المطلب الأول: الهيكلية العامة عند ابن إسحاق في كتابه

يعد كتاب ابن إسحاق من أقدم ما كتب في هذا المجال، فقد ألّف ابن اسحاق سيرته التي تضمنت ثلاثة أجزاء هي (المبتدأ والمبعث والمغازي)، فشملت بذلك أخبارًا منذ بدء الخليقة وشيئًا من أخبار الجاهلية ثم سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم من الهجرة، ثم حياته في المدينة ومغازيه وبعوثه حتى وفاته صلى الله عليه وسلم.

إلا أن هذا الكتاب لم يصلنا مباشرة بل وصلنا برواية ابن هشام، والتي عرفت بالسيرة النبوية لابن هشام، وفي هذه الرواية يوجد بعض التحوير للكتاب حيث ترك تاريخ أهل الكتاب من آدم إلى إبراهيم، كما حذف مالا علاقة له بالرسول، وأنكر بعض ما رواه ابن إسحاق من الشعر أو ما يؤذي الناس ذكره، كما أضاف إليه كثيرا من الإضافات في الأنساب واللغة، وقد أشار إلى إضافاته ومحذوفاته، كما عثر على نصوص متفرقة من سيرة ابن اسحاق عند الطبري في كتابه: "تاريخ الرسل والملوك وتفسير الطبري"، حفظ فيهما كثيرا مما حذفه ابن هشام من الأنباء، كما حفظ الازرقي في كتابه "أخبار مكة"، كثيرًا مما حذفه ابن هشام عن مكة، وعثر على نصوص أخرى من سيرة ابن اسحاق أيضًا في

المستدرك للحاكم النيسابوري، والكامل في التاريخ وأسد الغابة لابن الأثير، والإصابة لابن حجر العسقلاني. [1]

المطلب الثاني: المنهجية العلمية عند ابن إسحاق في كتابه

إنّ طريقة ابن اسحاق لا نستطيع تبنيها كاملة في الترتيب والتأليف؛ لأن كتابه لم يصل إلينا إلا عن طريق نقول المؤرخين الذين سبق ذكرهم، لكننا بتتبع الهيكلية التي اتبعها يمكن تحديد ملامح منهجية خاصة به تمثلت بالامور الآتية:

أولًا: تعامله مع الرواة

منهج ابن اسحاق يقوم على إيراد الأخبار بالأسانيد التي وصلت اليه، وبعضها موصول ، وبعضها منقطع أو مفصل من حيث ان بعض الاخبار يوردها من دون اسناد ، فقد اخذ ابن اسحاق اخبار ما قبل الإسلام من الرواة الذين كانو يعنون بهذا الأمر منهم ما كان من أصل يهودي كوهب بن منبه، وأبي مالك بن ثعلبة القرظي، ومحمد بن كعب القرظي، كما اخذ من أهل نجران والغالب أنهم نصارى في الأصل، وقد أخذ عن هؤلاء ما

(1) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (437هـ) المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، 1429 هـ – 2008 م،3772/5.

يخص أمر اليهود والنصرانية في اليمن وتعذيب ذي نؤاس نصارى نجران، كقوله: "حدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي"، وحدثني أيضًا بعض أهل نجران.

في حين وردت روايات في المبعث على الأغلب في دون اسناد، حتى اننا نجد في كثير من الأحيان الاسلوب القصصي في رواياته، ومن الأمثلة على ذلك ما نزل في المُثلى في القتلى: إن الله أنزل في ذلك قول رسول الله وقول الصحابة...إلى آخر القصة.

وفي أحيان كثيرة يجمع الروايات مع بعضها من دون تمييز لها، "ويقدم بذكر الاسانيد مجموعة ويسوق ملخصها: ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره عن إسلام سلمان الفارسي "ثنا أحمد قال : ثنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق قال: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن عبدالله بن عباس قال: حدثني سلمان الفارسي قال كنت رجلا من أهل فارس من أهل أصبهان.

وفي بعض الأحيان يعمد ابن اسحاق إلى ذكر مصدر المعلومة التاريخية التي أخذها، بتقديم ذكر مصدرها قبل الحديث عنها فعلى سبيل المثال يقول: "قال حسان بن

ثابت الانصارين والانصار بنو الاوس والخزرج ابني حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عمر بن حارثة بن امرؤ القيس بن ثعلبة بن مازه بن الاسد بن الغوث".[1]

ثانيًا: طريقة عرضه لمفردات مادته

أظهر ابن إسحاق إحاطة شاملة وواسعة بأحداث السيرة النبوية وقام بتجسيد مراحلها وفق سلسلة وثيقة العرى، فجاءت موضوعاتها متسلسلة واحداثها متماسكة ومترابطة، يكمل احدها الآخر، حيث ذكر أخبارًا عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، قبل البعثة من حيث ولادته ومرضعاته وكفالة جده له ثم كفالة عمه أبي طالب له، وحياته بعد البعثة من حيث نزول الوحي وموقف السيدة خديجة رضي الله عنها المساند للرسول صلى الله عليه وسلم عند نزول الوحي ودعوته ومقاومة قريش لهذه الدعوة ، ثم تكلم عن هجرته إلى المدينة واجراءات الرسول صلى الله عليه وسلم وغزواته وبعوثه إلى وفاته. [2]

[1] محمد ابن إسحاق، تفسير ابن إسحاق، جمع وترتيب محمد عبد الله أبو صعيليك، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ، 195/3.

[2] محمد ابن إسحاق، تفسير ابن إسحاق، جمع وترتيب محمد عبد الله أبو صعيليك، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ، 141/2.

ثالثًا: أسلوبه

اتسم اسلوبه بالسهولة والوضوح في عرض الأحداث التاريخية مستعملًا ألفاظا دارجة يفهمها العامة، الا انه يستعمل أحيانا كلمات صعبة مثل "وشارف لنا"، في الحديث عن مرضعة الرسول صلى الله عليه وسلم حليمة السعدية "فقدمت على اتان لي قمراء كانت أذمت بالركب ومعي صبي لنا وشارف لنا"، وقوله أيضًا "جفرا"، في قوله: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشب شبابًا لا يشبه لغلمان فوالله ما بلغ سنته حتى كان غلاما جفرا أي قوي الجسم شديدا".

وقوله: "العقب"، في حديثه عن دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم للإسلام هي "فصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صنع بالأمس فأكلوا حتى نهلوا عنه ثم سقيتهم فشربوا من العقب حتى نهلوا عنه، وأيم الله أن الرجل منهم ليأكل مثلها".

كما تميز أسلوبه بالاختصار في ذكر بعض الروايات التاريخية في بعض الأحيان كذكره أبناء الرسول صلى الله عليه وسلم وبناته: "عن يونس عن ابن اسحاق قال: "كان أول امراة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد فولدت له بنات أربع

زينب، ورقية، وام كلثوم، وفاطمة، وولدت بعد البنات: القاسم، والطاهر، والطيب فذهب الغلم جميعهم وهو يرضعون".[1]

رابعًا: لغته

استعمل ابن اسحاق في كتابة، لغة يسيرة سهلة واضحة واختار المفردات والتراكيب العربية السليمة، وذلك لايصالها للقارئ بشكل واضح ويسير، وقد تفرد ابن اسحاق بزيادات منها الصحيح ومنها الضعيف، كما انه له شذوذات خالف بها الصحيح مثل ما أورده في أن القراء الذين قتلوا في بئر معونه أربعون رجلًا، والذي في صحيح البخاري ان عددهم سبعون، ومثل قوله: "ان اصحاب الحديبية سبعمائة، والذي في الصحيحين انهم الف واربعمائة".[2]

المطلب الثالث: لمحة عن منهجه في التفسير

اعتمد المؤلف في تفسيره على تفسير القرآن بالقرآن ومثال ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: 50]،

[1] محمد ابن إسحاق، تفسير ابن إسحاق، جمع وترتيب محمد عبد الله أبو صعيليك، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ، 188/1.

[2] محمد ابن إسحاق، تفسير ابن إسحاق، جمع وترتيب محمد عبد الله أبو صعيليك، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ، 120/2.

يقول: "وليس المعنى أن الحكم لهم، وإنما المعنى أن الموقنين يتدبّرون حكم الله فيحسن عندهم، ويجوز أن تكون اللام على أصلها وهي للبيان، كاللام في قوله تعالى: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: 23]"[1]، فنجد المؤلف استشهد بالقرآن الكريم في بيان معاني الحروف.

أما القراءات فكثيرًا ما كان يورد القراءات الواردة في الآية، فلا تكاد تمر آية ذكر العلماء فيها أكثر من قراءة إلا ويعرضها، وكان يذكر الراءة المتواترة منسوبةً لأصحابها، ويعتني بتوجيه القراءات من ناحية المعنى أو الإعراب، وكان يورد القراءات الشاذة دون بيان نوعها وقد ينسب القراءة الشاذة لأصحابها.

كما اعتنى ابن إسحاق بالسنّة الشريفة في التفسير، فجاء تفسيره مملوءًا بالأحاديث النبوية الشريفة، التي تفسر الآيات أو تتوافق مع معناها، فيقوم بذكر الحديث للدلالة على أحد الأقوال في الآية القرآنية، أو لتوضيح معنى لفظة في الآية، أو لتبيين ما أُجمل في الآية، أو لترجيح قولٍ في الآية، أو لتوضيح ما هو مُبهم في الآية، أو لذكرِ قراءةٍ في الآية.

كما اهتم ابن إسحاق بالتفسير اللغوي، حيث كان يذكر الأوجه الإعرابية في الكلمة أو الجملة مع التعقيب عليها والترجيح بينها في بعض الأحيان، واهتم ببيان اشتقاق الكلمات

[1] المرجع السابق نفسه، 241/1.

وأصلها اللغوي الذي له أثر في بيان معنى الكلمة، فضلًا عن عنايته بالجوانب البلاغية في الأسلوب القرآني، واستشهاده بالأبيات الشعرية عن تفسير الآية، وكثيرًا ما كان ينسب البيت لقائله، وقد يذكر موضع الشاهد فقط من البيت دون إكماله، سواءً استشهد به على معنى مفردة في الآية أو بيان قول، أو مسألة نحوية.

كما نجد أنّه قد اهتم ببعض جوانب مباحث علوم القرآن، كاهتمامه بالنسخ في الآيات، وذكر المناسبات التي تربط بعض الآيات مع بعضها. [1]

أولًا: منهجه في طرح مسائل الفقه

كان تفسير ابن إسحاق ذو بضاعة قليلة في الفقه، فقد كان أحيانًا يذكر آراء الفقهاء في بعض المسائل الفقهية مجردة عن الأدلة، ولا يرجح رأي أحدهم على الآخر، ودون أن يدلي هو بدلوه في بعض هذه المسائل، فمثلًا في مسألة الطلاق السُّنِّي والبدعي نراه يستجمع آراء الفقهاء المعتمدين دون أن يبين رأيه في هذه المسألة، ودون أن يبين لنا الرأي الراجح، وما هو القول الذي يرتضيه، فقد كان ضعيفًا في مسائل الفقه المقارن.

والمتتبّع لمنهج ابن اسحاق في مسائل الفقه يرى أنّ له بعض الآراء الفقهية التي خالف فيها الجمهور، وعلى سبيل المثال موضوع القصاص، فالجمهور ذهبوا إلى أن

[1] ينظر: محمد ابن إسحاق، تفسير ابن إسحاق، جمع وترتيب محمد عبد الله أبو صعيليك، مرجع سابق، 146/3.

ISSN: 2709-5312

القصاص إنما يقع بين متماثلين الحر بالحر، والعبد بالعبد، والأنثى بالأنثى، فلا يقتل الحر بالعبد ولا الرجل بالمرأة، أما ابن إسحاق فيذهب إلى قتل النفس بالنفس أيًا كان جنسها أو مكانها الاجتماعي، وبناءً على ذلك يكون مؤيدًا لرأي الحنفية في عدم اشتراط التكافؤ في الحرية فقط، أما التكافؤ في الدين فالذي يفهم من كلامه أنه يشترطه موافقًا ذلك لجمهور الفقهاء.[1]

ومن الآراء الفقهية التي اجتهد بها أيضًا مسألة مس المحدث للمصحف، فقد ذهب إلى أنّه يجوز للمحدث مسّ المصحف، فهو هنا لم يشترط الطهارة من الحدث الأصغر لمس المصحف، ويرى أن المقصود بالمس في الآية: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾[2]، هو التلبس بالقرآن، والمباشرة له، والإفادة منه، فمن مسَّ هذا القرآن وطاف بحماه ملتمسًا الهدى منه، عليه أن يكون على صفة تناسب هذا القرآن من الطهارة والنقاء، والخطيب بذلك يخالف جمهور الفقهاء الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة الذين يوجبون اشتراط الطهارة لمس المصحف، خلافًا للإمام ابن حزم الظاهري الذي يرى جواز مس المصحف للمحدث.[3]

---

[1] علي، عبد الكريم، مناهج المفسرين، دار العلم للملايين، بيروت، 1401هـ، 135/1-138.

[2] سورة الواقعة، آية رقم: 79.

[3] محمد ابن إسحاق، تفسير ابن إسحاق، جمع وترتيب محمد عبد الله أبو صعيليك، مرجع سابق، 159/2.

ثانيًا: منهجه في طرح مسائل العقيدة

ظهرت بعض الآراء لابن إسحاق والتي يظهر من خلالها اهتمامه ببعض قضايا العقيدة، ومن هذه الآراء ما وافقت رأي السلف ومنها ما خالفتهم.

ومن الآراء التي وافق فيها أهل السنّة موقفه من المشيئة يسير في عقيدته حول مشيئة العبد مع مذهب أهل السنة والجماعة فهو يرى أن للإنسان مشيئة يجدها في كيانه فيما يأخذ أو يدع من أمور، وفيما يقبل أو يرفض من أعمال، ومع هذا فإن هذه المشيئة مرتهنة بمشيئة الله، جارية مع القدر الذي أرادته مشيئة الله، فهي مشيئة مطلقة داخل الإنسان، مقيدة خارجة بالمشيئة الإلهية العامة الشاملة، ولم يهمل الخطيب في تفسيره آراء العلمَاء في بعض المسائل العقدية بل كان يعرض هذه الآراء عرضًا دون ترجيح رأي على آخر.[1]

ومثال آخر على ذلك موقفه من الاستواء، حيث يفسر الاستواء تفسيرًا لا كما يفسره السلف بأن استواءه سبحانه بلا كيف على الوجه الذي يليق به، فهو يرى أن الاستواء هو القيام على هذا الوجود، والاستيلاء على مركز القوة والسلطان فيه، فلا تخرج ذرة من ذرات هذا الوجود عن سلطان الله وعن علمه، وفي تفسيره هذا للاستواء بأنه مركز الوجود قد

[1] عباس، فضل حسن، **التفسير والمفسرون** ، دار القلم، بيروت، 1401هـ، 437/3.

ISSN: 2709-5312

خالف عقيدة السلف، وخالف صريح الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، فقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ﴾[1]، يصرح بأن العرش شيء يحمل، فالذي يفسر العرش على أنه كناية عن الملك والسلطان، كيف يصنع بقوله تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾[2]، والملك لا يحمل.

ولم يكن مستقرًا على رأي واحد في مسألة الاستواء، فأحيانًا يتبع عقيدة السلف في الاستواء، وأحيانًا يصرح بما يفهم منه أنه يؤيد رأي المعتزلة، ثم يذهب إلى أنه يرتضي من بين هذه الآراء برأي السلف، ثم يذهب إلى تقرير رأي الإمام مالك في الاستواء مثبتًا الصفة دون تعطيل أو تأويل.[3]

---

[1] سورة غافر، آية رقم: 7.

[2] سورة الحاقة، آية رقم: 17.

[3] عباس، فضل حسن، **التفسير والمفسرون** ، مرجع سابق، 439/3.

الخاتمة

ومما سبق عرضه يمكننا القول إن ابن اسحاق مؤرخ مبدع مبتكر، وأصبحت له مكانته المرموقة بين المؤرخين الاوائل، وقد شهد له بذلك العديد من الذين عاصروه أو الذين جاؤوا بعده، وعلى مختلف اختصاصاتهم إلا أن هذا لا يعني أنه منزّه عن الخطأ أو الزلل.

فابن اسحاق على الرغم مما قيل بحقه من انه كان مدفوعا ببعض الميول أو عدم الدقة في نقل اخباره يبقى هو الأول في علم السير والمغازي، وكل من جاء بعده كان عالة عليه وهذه حقيقة لا يستطيع أحد منا ان ينكرها مهما تقادم الزمن.

وعلى كل حال فابن اسحاق يعد رائدًا للكتابة في السيرة، وصاحب مدرسة لها منهجها المستقل عن مدرسة علماء الحديث، وقد سهل للناس دراسة السيرة وتنظيمها في نمط قصصي متسلسل ، ولذا وصفه العلماء بأنه إمام المغازي والسير.

إن ابن إسحاق ألف تأريخه المطول قبل ان يتصل بالمنصور وفي فترة طويلة من حياته الأولى استهلها تأليف تاريخ عام، وانه عندما اتصل بالمنصور قدم له مؤلفه، فطلب منه المنصور: ان يختزله بصورة تمكن المهدي من دراسته واستيعابه. ولعل المنصور قصد

ISSN: 2709-5312

بالاختزال التخلص مما قد يكون مناقضا للسياسة العباسية، إذ لا يخلو التاريخ العام مما هو ليس في مصلحة السياسة العباسية.

وفي غلب الظن: ان الأوراق التي عثر عليها (جوهان)، هي من الكتاب المختصر، أما الكتاب الأول فالذي ترجحه الظنون أن المنصور تخلص منه بطريقة ما أو انه ضاع مع ما ضاع من ذخائر العصر العباسي في غمار الأحداث الحمراء التي اجتاحت بغداد، وحطمت الخلافة العباسية، وإذا صح ان ابن إسحاق ألف كتاباً موضوعه (الخلفاء) فقد يكون ابن إسحاق اختزله من تأريخه العام إذا لم يكن جزءًا منه فقد كان القدماء يقسمون الكتاب إلى فصول ويضيفون إلى عناوين الفصول كلمة "كتاب"، أو "باب"، فيقولون: كتاب المغازي، أو باب الجهاد... الخ.

وإن هذا الجزء من تأليف ابن إسحاق لم يطلع عليه ابن إسحاق غير من يثق بهم خوفا مما قد يغضب العباسيين مما قد يكون يتعارض مع سياستهم، ولذلك حامت الشكوك حول نسبة هذا المؤلف لابن إسحاق، واذا صحت نسبة الروايات التي اشتملت عليها مؤلفات المؤرخين مثل "ابن سعد"، و"الطبري"، وغيرهما، والتي اسندت لابن إسحاق ففي غالب الظن: أنّ بعضها مختصر مؤلفه، وبعضها مما كان يحتفظ به ابن إسحاق من مؤلفه العام أو مما احتفظ به تلاميذه.

المصادر والمراجع

1. إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (311هـ)، معاني القرآن وإعرابه: المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى 1408 هـ.
2. أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة – 1407 هـ.
3. أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (437هـ) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه: المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، 1429 هـ.
4. السايس، محمد علي، تاريخ الفقه الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1432هـ.
5. شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م.
6. عباس، فضل حسن، **التفسير والمفسرون** ، دار القلم، بيروت، 1401هـ.
7. علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي أبو الحسن علم الدين السخاوي (ت ٦٤٣هـ)، جمال القراء وكمال الإقراء: تحقيق: د. مروان العطيَّة – د. محسن خرابة، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

8. علي، عبد الكريم، مناهج المفسرين، دار العلم للملايين، بيروت، 1401هـ.

9. محمد ابن إسحاق، تفسير ابن إسحاق، جمع وترتيب محمد عبد الله أبو صعيليك، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ.

10. محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، (ت:1250)، نيل الأوطار، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1413هـ

11. معجم المفسرين: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1409 هـ.